من الربيع المخملي إلى المفاصلة الجهادية

محمد بن المختار الشنقيطي

بدل استقراء تاريخ عدد من الحضارات على ان روح البطولة والشهادة مؤشر على ميلاد حضارة جديدة. فإذا رأيت أمة تبذل الشهداء بسخاء فاعلم انها في فجر حضارتها، وإذا رأيت أمة تبخّل بالشهداء فاعلم أن حضارتها في إدبار. وهذا الذي يدلّنا على مآلات الربيع العربي.

ولو اننا أردنا أن نصوغ نظرية في ميلاد الحضارات فلن نجد معيارا ادق من معيار السخاء بالشهداء. وقد ولدت الحضارة الإسلامية في بطحاء بدر، وعلى سفح أحُد، أما العلوم والفنون التي ازدهرت فيما بعدُ في ربوع بغداد ودمشق وقرطبة وسمرقند.. فهي ثمار تلك البذرة التي روّتها دماء شهداء بدر وأحُد، لا روحُها النابضة.

فالشهداء عملة صعبة نادرة في التاريخ، وهم ضرورة لتسوية النتوءات القبيحة في حياة الأمم، وفتح الثغرات في الطريق المسدود أمام ميلاد حضارتها. بل يمكن القول إن الحضارة يشق طريقها الشهداءُ الذين يُعطون ولا يأخذون، ويضع أسسَها العلماء الذي يعطون ويأخذون، ويفرّط فيها الأمراء الذين يأخذون ولا يُعطون.

وما يميز حروب الشهداء هو انها حروب حول معنى الحياة، وموازين العدل والظلم، ومعايير الخير والشر، وليست حروبا من أجل المكاسب المادية، فلم يكن طالب الخلود قط حريصا على مغانم فانية، وربما كان ذلك ما قصده الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي إذ كتب "إن الأبطال لا يقاتلون من أجل البقاء، بل في سبيل الخلود".

وهذا النمط من الحروب حول معنى الحياة هو الذي يغيّر وجْه الحياة، بخلاف الحروب على المكاسب المادية مهما كانت شرسة. فغزْوات بدر وأحُد والخندق في العصر النبوي لم تكن -بمعايير التاريخ العسكري- سوى مناوشات بسيطة بين جيوش صغيرة في صحراء جرداء.. لكنها بموازين تاريخ الحضارة حروبٌ غيرتْ وجه الأرض ومسار التاريخ.

واللافت أن من اكثر الأحاديث النبوية ورودا على ألسنة الناس منذ مطلع الربيع العربي قول الرسول صلى الله عليه وسلم "سيدُ الشهداء عند الله حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" (رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب).

وقد تحوّل الفقه السياسي الإسلامي -مع بزوغ الربيع العربي- من فقه يتحكم فيه خوف الفتنة وتسويغ الاستبداد إلى فكر يسوّغ الثورة، ويجرد الاستبداد من كل شرعية دينية أو أخلاقية. وهذا تطورٌ في تاريخ الأفكار له ما بعده في مسار التاريخ السياسي الإسلامي.

فالجهاد الذي تفجّر مع الربيع العربي أحياء لمذهب السلف القديم في الخروج على حكام الجوْر الخارجين على الأمة، وتحررٌ من ركام البدع السياسية التي تسوّغ الخضوع للظلم والخنوع للضيم.

فنحن أمام تحول فقهي عميق يرى -بحق- أن القتال من أجل الحرية واجب شرعي وحق إنساني، وبعد -بحق- أن الذين يقاتلون الطغاة في بلداننا اليوم سائرون على خطى سيد الشهداء حمزة، وهذا فقهٌ يُحيي القيم السياسية الإسلامية التي وقع عليها الحيف التاريخي، ويستجيب لمستوى النضج الأخلاقي والإنساني الذي وصلت إليه البشرية.

وليس من ريب أن الربيع العربي سيدخل كتب التاريخ باعتباره من اعظم ثورات البشرية، لأن نتائجه ستكون تركيبا من الحرية في الداخل والتحرر من الخارج. بل إنه أكبر من ثورة سياسية. إنه ثورة على كل الأطر العتيقة التي عجزت عن استيعاب حركة الحياة في مجتمعاتنا، وستعبّر هذه الثورة الجارفة عن روحها تعبيرا كاملا في المستقبل: فقها جديدا، وفكرا جديدا، وقيما جديدة، تتمحور حول الإعلاء من إنسانية الإنسان، وتبذ الهمجية التي تمتهن الكرامة الإنسانية.

بيد أن الربيع الذي بدا مخمليا، سرعان ما تلقّع بلون شقائق النعمان، لون الدم القاني، وهذا أمر يستثقله اليوم من استرخصوا ثمن الحرية ابتداء، ويستغربه من قاسُوا مجتمعاتنا على مجتمعات أخرى لا تعاني ما نعانيه من تراكم الاستبداد، ونفوذ القوى الدولية، وانشطار الهوية الثقافية، لكن هذا التحول من المسارات السلمية إلى المواجهات العسكرية -على فداحة ثمنه- دليل يلبغ على أن الربيع العربي تحمّل بمعاني التصميم والتحدي الوجودي، وليس مجرد مهرجان سياسي مخملي.

لقد أردناه ربيعا مخمليا، وأراده الله مفاصلة جهادية، والذي أراد الله خير، ولنا فيمن سبق سلف من الصحابة الكرام وذوا يوم بدر لقاء العير، وأراد الله لهم لقاء النفير، إظهارا لتضاعة الحق، وقطعا لدابر الباطل، وتمييزا للصفوف، ونكاية بالمجرمين "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون" (سورة الأنفال، الآية 7).

لم يتحول الربيع العربي من الاحتجاج السلمي إلى المفاصلة الجهادية بقرار سياسي من الثوار، ولا بفتوى فقهية من العلماء، وإنما جاء ذلك التحول نتيجة طبيعية للديناميكية الاجتماعية. فللجسد الاجتماعي قدرته على الصبر والتحمل، كما للجسد الفردي قدرته على ذلك. وحينما تصل فاشية المستبد حدًا لا يطاق ينفجر المجتمع انفجارا عفويا، وتضطر القوى السياسية والنخب الفكرية إلى مسايرة ذلك التحول على تردد ابتداءً، ثم بكامل إرادتها انتهاءً.

لقد وصل الاستبداد والفساد في بعض الدول العربية حدًا جعلها بحاجة إلى الغسْل سبعا، سابعتُها بالدماء، لكي تسترد شيئا من كرامتها وإنسانيتها. فالصرح العربي المتهاوي ما كان ينفعه الترميم، وكان لا بد من إعادة بنائه من القواعد، لذلك انفجرت المجتمعات العربية ثورات عاتية. وما كان الحق ليحقّ ناصع البياض، وما كان للزيف لينكشف وجهُه القبيح، لولا أن الثورة واجهتْها ثورة مضادة، فقدّم الشهداء أرواحهم، وسطروا قصة الحق بالحبر الأحمر المتفجر من شرايين القلوب.

والذي يرى اليوم همجية الأسد والسيسي في قمعهما للشعبين السوري والمصري، وهمجية القذافي في قمعه للشعب الليبي من قبل، يدرك أن المفاصلة بين الشعوب العربية وطغاتها الرافضين للإصلاح السلمي حربُ وجود لا حرب حدود. وهي -شأنها شأن أي حرب وجودية- لا مجال فيها للحلول الوسط أو التلاقي في منتصف الطريق مع السفاحين الواغلين في الدماء الزكية.

إن للحرية ثمنا، وللكرامة مهراً، وما انزل الله تعالى في كتابه آيات الجهاد المتضافرة، ووعد الشهداء بأعلى المقامات، إلا لأنهم هم من يبذلون في هذه الحياة ولا يأخذون، ويضحّون بأرواحهم محتسبين، لينتصر الحق، ويعم الخير، ويتحقق العدل الذي هو أمّ الفضائل ورأس القيم، ومن أجل تحقيقه بعث الله الرسل وأنزل الكتب "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" (سورة الحديد، الآية 25).

وإذا كانت كل روح تُزهق من غير حق مما يُحزن القلب، ويُدمي العين، فإن عزاءنا أن الموت في سبيل الله حياة، وأن الدفاع عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان مروءة، وأن الشهادة تمحيصٌ للصفوف، وتشريف للأحرار، ومقتٌ للظالمين "وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين". (آل عمران، الآية 140).

لم يعدُ لدى الشعوب العربية ما تخسره، فمهما يكن ثمن الحرية الذي ندفعه اليوم، فهو اقل من ثمن الاستبداد الذي تعيش تحت وطأته.. وكأنما تصرخ أمتنا ذات المعصم الدامي في وجه جلاديها ببيتي شاعر مصر الطبيب الأديب إبراهيم ناجي:

أعطني حريتي أطلقْ يديّـــا / إنني أعطيت ما استبقيت شيّا

آه من قيدك أدمى معصمي / ثم أبقيه وما أبقـــى علـــيّا؟

لقد تواطأت أطراف عديدة بالفعل وبالترك على تدمير سوريا وعلى إشعال مصر وإشغالها، تنفيرا للشعوب من الثورة على الظلم والسعي إلى الحرية. وإذا كان تواطؤ الروس ظاهرا بسبب ما أوتوا من عنجهية، فإن التواطؤ الأميركي من النوع الخفي المراوغ.

ولعل أبلغ تصوير للموقف الأميركي هو ما كتبه ادوارد لوتواك -وهو منظر إستراتيجي أميركي يهودي- يوم 24 أغسطس/آب 2013 في صحيفة نيويورك تايمز، ففي مقال بعنوان (في سوريا: ستخسر أميركا إذا كسب أيّ من الأطراف) كتب لوتواك "إن الاستنزاف الطويل الأمد في هذه المرحلة من الصراع هو المسار الوحيد الذي لا يضرّ المصالح الأميركية"، وختم بنصيحة لصانع القرار الأميركي قال فيها "سلّحوا المتمردين كلما بدا أن قوات السيد الأسد في صعود، وأوقفوا دعمهم كلما بدا أنهم سيكسبون المعركة".

ولم يكن لوتواك مجرد ناصح للإدارة الأميركية ومنظر لها، بل هو يؤكد في مقاله -مُحقا- أن ما أوصى به هو واقع الموقف الأميركي في سوريا، وهو -قبل كل ذلك- يعبر عن الرؤية الإسرائيلية الساعية إلى تهشيم كل ما تملكه دول الطوق العربية من قوة قبل أن تمسك الشعوب بزمام أمرها في تلك الدول، حتى إذا سقط المستبد الحامي لحدود الدولة العبرية بقيت الشعوب تلعق جراحها لعقود.

وتطبيقا لهذه الرؤية تشجع أميركا حلفاءها العرب والأتراك على دعم الثوار السوريين، ثم تستخدم نفوذها السياسي وتضع خبراءها العسكريين على الحدود السورية لضمان بقاء هذا الدعم العسكري ضمن حدود المعادلة الجهنّمية التي رسمها لوتواك.. حدود الحرب الأهلية الدائمة التي لا غالب فيها ولا مغلوب.

وللخروج من هذه المعادلة الجهنمية تحتاج الشعوب عزما وتصميما، وتضحية وإصرارا، وتوكلا وتجردا، ورصا للصفوف، ومنابذة للظالمين دون هوادة. فهذه لحظة من اللحظات التي يكون فيها التاريخ على مفترق الطريق، مثل تلك اللحظة التي واجهها جيش طارق بن زياد على ضفاف المتوسط.

فقد نقل المقري في كتابه (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) خطبة لطارق في جيشه، وهو يُعدّ العدة للمعركة الفاصلة، فكان مما قال فيها "أيها الناس: أين المفر؟ البحرُ من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيعُ من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوّكم. وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تُنجزوا لكم أمرا، ذهبت ريحُكم، وتعوّضت القلوب عن رعبها منكم الجراة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقتْ به إليكم مدينتُه الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت".

فما أجدر الشعوب الثائرة على الظالمين اليوم بتأمّل معنى هذه الخطبة ومغزاها، والتشبع بروح الصدق والصبر التي أوصى بها طارق بن زياد جيشه. فأهمّ ما تحتاجه هذه الشعوب اليوم هو التمسك بمنهج الصبر والمصابرة، والتشبث بالأمل وطول النفس، والإيمان بأن مع العسر يسرا، فلم يكن الجهاد من أجل الحق والعدل قط جولة واحدة، ولم يكن ثمنه قط من ضريبة الدم رخيصا.

ولكي تكون لضريبة الدم قيمتُها، لا يجوز هدرُها في مواجهات عبثية، أو معارك جانبية وضع العدو خريطتها، وحدّد مسيرتها.

وإذا كانت بعض الجماعات الجهادية قد أساءت التسديد وأساءت التصرف، فإن تلك الجماعات العدمية ستبقى ظاهرة هامشية ورمية طائشة في المعركة الفاصلة بين الشعوب الحرة وحكام الجور.

وليس البديل عن الفوضى الجهادية التي سببتها تلك الجماعات هو الطعن في الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، أو في المجاهدين الذين هم درع الأمة وحصنها الحصين، وإنما البديل هو الجهاد على بصيرة، جهاد منضبط بأخلاق الإسلام في الحرب، متمعن في محيطه وسياقه، مدرك لرسالته السياسية، حريص على شرعية وسائله ونبل غاياته، يقاتل أهله لرفع الظلم، لا لاستبدال قائم بظالم، ويناضلون لتحرير الشعوب، لا للتحكم في الشعوب.

إن قوى الثورة المضادة وظهيرُها الإقليمي والدولي يراهنون على تحويل سوريا ومصر إلى مقبرة لحلم الحرية والتحرر الذي تألق في البلاد العربية بعد طول كبت وتأخير. وتسعى هذه القوى الظلامية إلى رفع ثمن الحرية من الدماء والأموال، وتأجيلها لأمد طويل، حتى تمل الشعوب الفوضى والاقتتال المصاحب لكل الثورات، وترضى بالعودة إلى نير الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي.

لكن هيهات أن تذبل جذوة الأمل، ومعاذ الله أن يخذل الله الربيع العربي بعد أن تروّى بدماء الشهداء، فتفتّقت منه شقائق النعمان حمراء قانية.

عن «الجزيرة نت»

عن الخليج.. ونهاية الشعارات القديمة

فهد سليمان الشقيران

بينما كنت أتجوّل مع أصدقاء بين دور النشر في معرض «أبوظبي» للكتاب، يستوقفنا أديب، ويتحدث عن إحدى دور النشر لصديقه العراقي، والتي تعاني صعوبات في المشاركة ببعض المعارض الخليجية، ثم ابتدرنا بسؤال: «إذا لم تشارك في الخليج.. أين تشارك؟».

هذه العبارة تبيّن مستوى التطور الذي شقّته منطقة الخليج على مستوى التأليف والكتابة والرواية، في معارض الكويت والشارقة ومسقط والرياض وأبوظبي والمنامة نجاح باهر لسوق الكتاب، نجاح يتطوّر تبعًا للشغف الذي يهيمن على المجتمع الخليجي المشغول دائمًا بأسئلته المتجددة، لقد أيقظت الأحداث المجتمعات منذ الثورة الإيرانية 1979، حتى حرب العراق وإيران 1981، وصولًا إلى غزو الكويت 1990، ومن ثم ضربة الإرهاب في 2001، وبعد أن نشبت الاضطرابات في 2010 أصبحت الأسئلة تتشعّب بين الدين والفكر واللغة والمعنى والوجود، وهذا ينبئ عن مجتمعات شبّت عن الطوق، وأخذت تتلمس بأصابعها سبل الخلاص.

في السعودية منذ 1931 وحتى 1990 لم تُطبع إلا 30 رواية، بينما الآن في السوق أكثر من ألف رواية لشباب وفتيات في سنّ مبكرة، يكتبون تجاربهم، ويومياتهم وحياتهم، ومن حق الجميع أن يؤلف، وأن يكتب ما اختبره في حياته، والبضاعة الجيدة هي التي تبقى.. «فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». حين نتحدث عن مجتمعات لديها تابوهات، فإن التمرّد الفكري والكتابي ليس عيبًا حين يوثق ضمن تجربة، ولكن ضمن معايير التأليف الأساسية، على النحو الذي يطرح في المجتمعات الأخرى؛ إذ يرتبط التأليف بالتجربة وليس بالموضوع الأكاديمي والمعرفي فقط. من هنا تكون هذه الموجة «علامة» على مخاض ضخم على المستويين الفكري والاجتماعي للبحث عن آفاق الحداثة والتطور والتنمية. وبالبحث عن الاهتمامات التي تشغل الشباب الخليجيين لا تجدها اهتمامات سياسية، بل فكرية وأدبية ومعرفية وفلسفية، أقول هذا عن تجربة في معارض الكتب التي أشارك فيها، وفي الأندية الأدبية السعودية التي أغشاها، وبمتابعة للحركة الروائية وللتأليف المطروح يوميًا على أرفف المكتبات.

كان لمعرض «أبوظبي» للكتاب وفعاليات جائزة الشيخ زايد والحضور الخليجي الضخم، أكبر الأثر في الإيضاح للمجتمعات الأخرى، أن الخليج ليس «بنايات شاهقة»، وإنما حصن ضخم استطاع أن يواجه التحديات الكبرى التي أحاطته منذ أربع سنوات، وتغلب على الخلايا الأصولية، وضرب التطرف والقبلية، وحاكم المجرمين، ومن ثم استأنف النشأة ليضع لبنات على بناء معناه الثقافي، تعيش هذه الأرض على المدنية والتيارات الحداثية المعاصرة، مودّعة أزمان الاتجاهات الخشبية، ومفاهيم «الكمون، واللؤرة، والنضال، والمقاومة»، وسواها من المعاني التي أكل عليها الدهر وشرب.

لكل زمان عواصمه الثقافية، ما عدّه البعض هامشًا في السبعينات الميلادية بات اليوم مركزًا، في شهر واحد على سبيل المثال تتمكن الإمارات من احتضان ثلاثة أحداث ضخمة: «جائزة الشيخ زايد، احتفالات بفوز مانشستر سيتي، بدء منتدى الإعلام العربي»، هذه الأحداث تبرهن على مركزية الخليج في الفعل الثقافي والاجتماعي والرياضي، متجاوزين اللغات القديمة، والقصائد الطويلة من متاضل بنظارته المقعّرة، إنه زمن آخر، وعصر آخر، وقرن آخر.

وبينما تشنّ هذه الأيام حملات حول موضوع «الاستقرار» من قبل بعض الكتاب ذوي الاتجاهات اليسارية من مدمني المسيرات والاحتجاجات بصمد الخليج في وجه العاتي من الرياح، ويحاول أن يحفظ وحدته وكيانه من التآمر والحيل، ويواجه العالم بالكتاب والفكرة والتعلم والابتعاث، لم يعد هناك وقت للمهاترات التي سادت ثم بادت لدى المثقفين في الستينات والسبعينات المتأثرين بالمسيرات الاحتجاجية في فرنسا وغيرها، إنما الآن زمنٌ آخر؛ إذ تراهن الدول على التعليم، وتشجّع الجدل الفكري، وتحرس الاستقرار من كل يد تحاول أن تعبث به. هذه هي حركة الخليج في شهر مايو (أيار) فقط، ماذا لو فتحنا إنجازات الستة، أو السنوات العشر الماضية؟!

عن «الشرق الأوسط» اللندنية

دور الولايات المتحدة في الحياة السياسية للعراق بعد الانتخابات

مايكل نايتس

في 30 نيسان/أبريل، توجه الجمهور العراقي للتصويت في الانتخابات البرلمانية في جميع أنحاء البلاد، لاختيار أعضاء "مجلس النواب" الذي يضم 328 مقعدا للفترة الأربع سنوات المقبلة. لتبدأ بعدها عملية مساومات لها نفس القدر من التأثير والتبعات، وهي أخذ تشكيل الحكومة القادمة بعيدا عن أعين الجمهور وتجميعها خلف الأبواب المغلقة. لقد حثت الولايات المتحدة بغداد مرارا وتكرارا على ضمان إجراء التصويت في موعده، وفي جميع المناطق، وبطريقة حرة وعادلة. وقد يكون دور واشنطن في عملية تشكيل الحكومة بنفس القدر من البناء والفعالية، لكنه يمثل تحديا أكثر صعوبة بكثير. وفي الواقع أن طريقة استجابة الحكومة الأمريكية عقب الانتخابات يمكن أن تضع الأساس لشكل العلاقات الثنائية طوال فترة ولاية الحكومة المقبلة.

حقل الألغام الذي يمر به تشكيل الحكومة العراقية

إن عملية تشكيل الحكومات في العراق عادة ما تكون مطولة ويكتنفها التعقيد. فقد استغرق اعتماد نتائج الانتخابات ثمانية أسابيع في عام 2006 واربعة عشر أسبوعا في 2010. وما أن يتم الاتفاق على النتائج حتى يتعين على المشرعين البدء في انتخاب رئيس لـ "مجلس النواب" أثناء الجلسة الأولى لانعقاد البرلمان الجديد؛ وبعد ذلك يجب عليهم عقد جلسة ثانية خلال شهر، يختارون خلالها رئيسا للبلاد بأغلبية الثلثين . ويفرض تعيين الرئيس قيدا زمنيا على تشكيل الحكومة، حيث يجب على الرئيس التنفيذي الجديد تسمية رئيس وزراء مكلف خلال خمسة عشر يوما وإجراء تصويت للمصادقة على تشكيل الحكومة في موعد أقصاه ثلاثين يوما عقب ذلك الإعلان.

وفي عامي 2006 و2010، قامت الفصائل العراقية عمدا بتجميد العملية في أول مرحلة عن طريق ترك الجلسة الافتتاحية للبرلمان "مفتوحة" من الناحية الفنية لعدة أسابيع من أجل كسب الوقت للتفاوض. وقد دامت فترة الفراغ أربعة وعشرين أسبوعا بعد الانتخابات في عام 2006 وثمانية وثلاثين أسبوعا في عام 2010. وفي كلتا الحالتين، فإن قطع الدومينو التي تم تنظيمها بشق الأنفس سقطت في تتابع سريع، بما في ذلك التصديق السريع لرئيس الوزراء وحكومته.

ويمكن أن يمضي اختيار رئيس الوزراء بواحدة من طريقتين عقب انتخابات الأسبوع المقبل. فإذا تم السير على نموذج 2006 و2010، سوف تجتمع الفصائل الشيعية سرا للتفاوض على من سيصبح رئيس الوزراء المقبل، مع معاملة الفصائل الأخرى على أنها أطراف ثانوية يمكن دمجها في الاتفاق بعد التوصل إليه. وكبديل لذلك، يستطيع رئيس الوزراء الحالي نوري المالكي وخصومه من الشيعة السعي إلى حشد أكبر عدد ممكن من المقاعد من التكتلات غير الشيعية من أجل خلق مركز الدعم الأكبر قبل قيام الرئيس الجديد بتسمية رئيس الوزراء المكلف. وسوف يمثل هذا المسار الثاني نقطة تراجع تاريخية في التضامن الشيعي الكلي، وهي نتيجة عملت الأحزاب الشيعية والمؤسسة الدينية الشيعية وإيران بجد من أجل تجنبها منذ عام 2003.

دور القوى الخارجية

لقد سعت الفصائل العراقية عادة إلى استجداء القوى الخارجية – مثل الولايات المتحدة وإيران وتركيا ودول الخليج – لدعم فرصها أثناء تشكيل الحكومة. وفي هذا الصدد فإن الفترات التي تلت انتخابات 2006 و2010 توفر الكثير من الدروس التي يمكن أن تساعد واشنطن على تعظيم آمالها في المشاركة البناءة بعد الانتخابات المقبلة.

مشاركة الولايات المتحدة. في عام 2006، لعب السفير الأمريكي زلماي خليل زاد دورا محوريا في اختيار ودعم المالكي بصفته مرشح الكتلة الشيعية ليصبح رئيس الوزراء، مما عكس وضع أمريكا باعتبارها قوة الاحتلال الأساسية. وكانت واشنطن أقل حزما في عام 2010، حيث انتظرت نتيجة المفاوضات بين الفصائل الشيعية التي لم يبرز منها أي بديل للمالكي. وقد ركّز المسؤولون الأمريكيون جهدهم على السعي إلى تحقيق نذر يسير من الشمولية في حكومة 2010-2014. غير أنه من وجهة نظر خصوم المالكي، بدت واشنطن وكأنها تتخلى عن المعارضة، بخلقها انطباعا دائما بأن الحكومة الأمريكية تدعمه بشكل ثابت لا يتارجح.

دور إيران. كانت طهران على الأرجح القوة الخارجية الأكثر تأثيرا أثناء تشكيل الحكومة وتقاط الارتكاز الأخرى في التاريخ السياسي الحديث للعراق. على سبيل المثال، أدى التأثير الإيراني على الزعيم الشيعي مقتدى الصدر إلى تقويض محاولة إبراهيم الجعفري الاحتفاظ برئاسة الوزراء في عام 2006 ووضع الأساس لإعادة تعيين المالكي في عام 2010. كما شجعت طهران إعادة تعيين الرئيس جلال طالباني أثناء تجمع لفصائل شيعية عراقية في إيران قبل انتخابات آذار/مارس 2010؛ وقد حصدت لاحقا نتيجة ذلك من خلال توجيه طالباني بأن يعمل على تعطيل التصويت بعدم الثقة ضد المالكي في نيسان/أبريل 2012.

بيد أن عدم قدرة إيران على إبعاد الصدر عن تصويت سحب الثقة أظهرت أنها فقدت درجة من النفوذ على زعيم شيعي رئيسي في تلك المرحلة. وفي المفاوضات الأخيرة بشأن التشكيل الذي تأخر كثيرا لـ "حكومة إقليم كردستان"، يبدو أن طهران فشلت في كسب دور أكبر لفصيلها المفضل "الاتحاد الوطني الكردستاني". ولا يزال دور طهران قويا إلا أن الأحداث الجارية في سوريا وارتباط إيران القوي بالمالكي قد أضعفه. لذا فإن تأثير الجمهورية الإسلامية على تشكيل قيادة العراق المقبلة قد يواجه صراعا أكثر حدة وصعوبة عما كان عليه الوضع في الماضي.

تركيا ودول الخليج. عندما يتعلق الأمر بالتأثير على الشؤون السياسية العراقية، فإن دور الدول ذات الأغلبية السنية يقتصر على المسائل الثانوية المتمثلة في الشؤون السياسية بين فصائل السنة والأكراد. وفي عام 2010، كانت كتلة "العراقية" القومية ذات الأغلبية السنية، المفضلة على تركيا، على قدم المساواة مع "التحالف دولة القانون" بقيادة المالكي إلى حين توطد دعم الشيعة للمالكي. وقد سعت أنقرة بجد وفشلت في تقويض إعادة تعيين المالكي، مما أفسد العلاقات مع الحكومة العراقية الجديدة. ويمثل ذلك الإخفاق رسالة تحذير واضحة ضد محاولة اختيار فائز في ظل غياب سيطرة قوية على النتيجة.

التداعيات على السياسة الأمريكية

سوف تكون هذه الانتخابات هي أول انتخابات وطنية بعد الاحتلال في العراق – اختبارا حساسا ليس فقط للديمقراطية العراقية، ولكن للعلاقات بين الولايات المتحدة والعراق أيضا. لقد تجنبت واشنطن بشكل واضح مساندة أي مرشح حتى الآن، ويجب أن تجعل هذا الموقف جليا للعيان لأن النوايا والأفعال بل وعدم الأفعال الأمريكية عُرضة للتفسيرات الخاطئة.

وبعد كل ذلك، فإن الولايات المتحدة ستحسن التصرف لو أنها أعربت عن أن دعمها القيّم في مكافحة الإرهاب – بما في ذلك التدابير المكثفة التي تشمل تنفيذ هجمات بواسطة المروحيات – لن يكون متاحا سوى لحكومة تمارس باتساق مخططا لمشاركة السلطة بين الفصائل والأعراق المختلفة على نحو يتجاوز بكثير ما حدث خلال فترة ولاية المالكي الثانية. وخلال فترة تشكيل الحكومة التي ربما تطول لفترة تتراوح من ستة إلى تسعة أشهر، سيكون أمام واشنطن مهمة لا تُحسد عليها: دعم العراق في صراع يائس مع المقاتلين المتطرفين مع تحجيم ميول حكومة تصريف الأعمال تجاه ممارسة صلاحيات طارئة قد تعيق الانتقال السلمي وتزيد من تنفير المجتمعات السنية في العراق وجميع أنحاء المنطقة.

يجب أن تظل الولايات المتحدة أيضاً منتبهة لاحتمالية تدهور العلاقات بين بغداد و "حكومة إقليم كردستان". فعلى مدى الأشهر الستة الماضية عملت واشنطن بجد من أجل تقريب المالكي والأكراد نحو عقد اتفاق حول مشاركة إيرادات النفط، لكن تلك العملية انهارت وتعثرت بسبب محاولات كسب جمهور الناخبين في بغداد. وفي أعقاب الانتخابات، سوف ينظر البرلمان العراقي مجتمعا في جلسة خاصة مطولة إلى حين الموافقة على ميزانية 2014، والتي تتضمن نصوصا تبين قدرة الحكومة الفدرالية على قطع المخصصات المالية لـ "حكومة إقليم كردستان". إن الموافقة على ميزانية من أي نوع يمثل أولوية لجميع الفصائل العراقية، لكن استبعاد النصوص المناهضة للأكراد سوف يخلق قوة دافعة يمكن أن تستمر إلى عملية تشكيل الحكومة. ووفقا لذلك، ينبغي على المسؤولين الأمريكيين في العراق أن يركزوا جهودهم بعد الانتخابات على توجيه تدفقات النفط الكردية عبر نظام الصادرات الفيدرالي واستعادة تحويلات بغداد المالية إلى "حكومة إقليم كردستان".

عن «معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط»